

دراسة مخطوط: شرح مراح الأرواح للمهدي الحنفي

محمود أحمد

قسم اللغة العربية بجامعة بنجاب، لاهور

Abstract :

Study of the manuscript: “Sharh Marahul Arwah”

by Al Mahdi Al Hanafi

In linguistics, morphology is the identification, analysis and description of the structure of a given language's morphemes and other linguistic units such as root words, affixes, parts of speech, intonations, stresses and the implied context. In Arabic morphology, “Mirahul Arwah” is one of the important books written by Islamic scholars. Owing to its importance in the books on Arabic grammar, many scholars have written its commentaries. One of them is Al Mahdi Al Hanafi, a Pakistani writer, who wrote a glorious and marvelous commentary on it. Unfortunately, this book has not been verified and published yet.

In this article, the writer describes the services of sub-continental scholars in the field of Arabic grammar and then he goes to the commentary on “Mirahul Arwah by Al Mahdi Al Hanafi” and presents its comprehensive study.

إن شبه القارة الهندية شهيرة جداً في كل أرجاء العالم بسبب أبنائها الأقوياء المجتهدين، أصحاب العلم والفن الذين اعترف بنبوغهم الناس كلهم، وهذه المنطقة لها أهمية كبرى منذ أزمنة قديمة اقتصاداً واجتماعاً وغير ذلك. وقدم عليها الزمن المبارك الذي كانت فيه مهذاً للعلوم الإسلامية وفنونه، فنظراً إلى أهمية هذه المنطقة، لا يكتمل تاريخ العلوم الإسلامية والعربية بدون ذكر تاريخ شبه القارة الهندية.

المركز الإسلامي الأول في شبه القارة الهندية هو "مالابار" وهي منطقة في جنوب الهند وكانت منقسمة إلى دول عديدة صغيرة وعلاقات أهل هذه الدول كانت مرتبطة بالتجار العرب من الحجاز واليمن والمسقط، وكان العرب يسافرون إلى "مالابار" للتجارة وعند ما بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- فوصل ذكره إلى ملك "مالابار" وكان إسم الملك "زمورن" أو السامري وكان الملك قد رأى معجزة شق القمر بعيني رأسه من قبل فسجل حادثة شق القمر في يوميته ثم سمع نفس المعجزة بألسنة التجار العرب بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقعت له تلك المعجزة بيده فأسلم الملك وولى منصبه إلى من ينوبه ومشى إلى مكة ليزور الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولكن توفي خلال سفره فدفن من قرب اليمن⁽¹⁾.

وكذلك مجموعة الجزر المالديفية كانت مركزاً جديداً للعرب وكانت شهيرة عند العرب باسم "جزير المحل" وكانت تحكمها امرأة مسلمة خديجة وكان أكثر ساكنيها من أولاد العرب التجار وكذلك ظهر على منصة الشهود عمران "مالابار" في قرب نفس العهد⁽²⁾-⁽³⁾.

وعندما وصل نبأ نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أهل "لنكا" فسافر رجل من هناك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- لكي يحصل على دراسات الإسلام فبلغ المدينة المنورة في عهد عمر -رضي الله تعالى عنه- ولقيه وتعلم الدراسات الإسلامية ثم رجع إلى موطنه وعندما كان يسافر على مقربة من ضفة مكران فغرقت السفينة ونجا خادمه فبلغ بالتعاليم الإسلامية وطنه⁽⁴⁾-⁽⁵⁾.

و قد ذكر صاحب حجج الكرامة في بيان القيامة أن الصحابي الشهير
مغيرة بن شعبة-رضي الله تعالى عنه- جاء إلى شبه القارة في عصر عمر الفاروق
-رضي الله تعالى عنه-.

و اتصلت علاقات العرب بالسند في عهد الخليفة-عمر رضي الله تعالى
عنه- في سنة 15 الهجرية وحاكم الخليفة "عثمان" عثمان بن أبي العاص الثقفي
أرسل أخاه "مغيرة" بسفينة إلى السند لكي يأتي بالأبناء السياسية والدفاعية من
شواطئ السند والهند وهوتفقد الأحوال وتفحصها من مناطق ديبل وبرائج
وبتهانة، ورجع بسفينته سالما آمنا ولكن لما عرف عمر -رضي الله تعالى عنه-
عن هذه المهمة غضب وقال للحاكم : "يا أبا ثقيف حملت دودا على عود وأني
أحلف بالله إن لوأصيبوا لأخذت من قومك مثلهم"⁽⁶⁾.

وفي عهد سيدنا عثمان -رضي الله عنه- أرسل حاكم "عراق" عبد الله
بن عامر رجلاً حكيم بن جبلة العبدي ليتفقد أحوال ثغور الهند، وعندما رجع
ابن جبلة أرسله الحاكم ليخبر الخليفة الأحوال مباشرة فقال: "يا أمير المؤمنين
مأوها وشل وتمرها دقل ولصها بطل إن قل الجيش بما ضاعوا وإن كثروا
جاعوا"⁽⁷⁾⁻⁽⁸⁾.

وفي السنة الثامنة والثلاثين الهجرية (658-659م) أرسل سيدنا علي -
رضي الله عنه- ثاغر بن دمورا وقرره على ثغر الهند كقائد الجيش ففتح مناطق
عديدة بجيش كبير فبلغ جبل "كوه قيقان" وإسم قيقان الجديد "قلات" وفتحت
"قيقان" بعد قتال عنيف مع القيقانيين⁽⁹⁾.

و كذلك أرسل سيدنا علي - رضي الله تعالى عنه- حارث بن مرة
العبدي فانتصر في معاركه ونال الغنائم وأسر الكثير من أهل السند⁽¹⁰⁾.

وهجم مهلب بن أبي صفرة وبعده عبدالله بن سوار العبدي على الهند
في عهد الأمير معاوية وفتح مناطق "بلوچستان" (الأقليم الحالي في باكستان)

وفتح مناطق "بنه" و"لاهور" وهما بين "ملتان" و"كابل" وأخذ الغنائم ورجع إلى العرب⁽¹¹⁾.

وتمت الغلبة على "مكران" في عهد الأمير معاوية بن سفيان-رضي الله عنه- على يد سنان بن سلمة بن المحقق الهذلي وتولى الحجاج بن يوسف حكم العراق في عهد عبدالمملك بن مروان فأرسل الحجاج جندين تحت قيادة عبدالله بن نبهان وبريل بن طهفة البجلي ولكن ما قدر لهما الفتح ثم أرسل الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي وكان عمره في ذلك الوقت سبعة عشر عاما ففتح ديبيل⁽¹²⁾-⁽¹³⁾.

وظل حاكم السند تحت رئاسة "بغداد" منذ بداية الحكومة العباسية إلى مائة عام وفوض الخليفة المعتمد (870م) إمارة "خراسان" و"سجستان" و"كرمان" إلى يعقوب بن ليث بالإضافة إلى إمارة السند⁽¹⁴⁾.

وكان عمر بن عبدالعزيز الهباري حاكما آخرًا من بغداد في عام 880م وفي القرن العاشر الميلادي تأثر حكام السند بالفرقة الإسماعيلية وتبليغها فاستولى القرامطة على مدينة "ملتان" سنة 890م تقريبا وانقسمت السند إلى دول صغيرة عديدة⁽¹⁵⁾.

ما كان بدأ عمل التصنيف والتأليف بالضبط في اللغة العربية حتى وسط القرن الثامن الميلادي بشبه القارة الهندية وكان التراث العلمي الإسلامي ينتقل حفظا ورواية وإملاء، وما كان عمل الكتابة مقصودا بالذات وإنما كان الهدف الأساسي هو حفظ التراث الإسلامي وإيصاله إلى المسلمين⁽¹⁶⁾.

وخلال زمن خلافة الخلفاء الأربعة كان القرآن الكريم موضوع التركيز وبدأ يبين عميد بن شريح الجرهمي الحكايات القديمة المأخوذة من "عهد نامه" العتيق وكان الأمير معاوية يعطيه المال الكثير وبعد فتح "ديبل" أي السند بُنيت المساجد في المدن المختلفة حيث كان يُدرس لطلاب الدراسات الإسلامية⁽¹⁷⁾.

ولا نجد ذكر أحد من الكتب العربية المستقلة في شبه القارة الهندية بعد فتح ديبيل إلا ترجمت الكتب السنديّة إلى العربية، منها "بنج تنتر" (Pung) (Tantaqr) الذي ترجم من السنديّة إلى الفارسيّة في عهد "نوشيروان" ثم إلى العربية في عهد البرامكة والآن هذا الكتاب شهير باسم "كليلة ودمنة" وكذلك تُرجمت كتب علم الطب إلى العربية وهذه الكتب أرسلها "عمران" من الهند إلى "بغداد" لبيت الحكمة منها "سورية سدهنتا" و"آرية بهت" و"برهم كبت" و"كهندا" و"كهندك" و"ارته ساستر" و"مها بهارت" ولهذه الكتب دور هام في نشأة الأدب العربي، هناك كتب أخرى طيبة ترجمت من السنديّة إلى العربية في العهد العباسي⁽¹⁸⁾.

أتى المسلمون بالقرطاس حينما هاجروا ورحلوا إلى شبه القارة الهندية وفي ذلك العصر كانت قرية "ظفر آباد" من أعمال أمانة "جونفور"، تضم خمس مائة دكان من القرطاس وكانت سوقا للتجارة يوجد بها ثمانية أنواع من القرطاس.

أول من صنّف بشبه القارة الهندية في اللغة العربية هو أبو حفص ربيع بن صبيح (المتوفى في 160هـ/776م) وهو من تبع التابعين ومن رواة الحديث المعتمد عليهم وهو العالم الأول المسلم في شبه القارة الهندية.

أول من صنّف في النحو العربي هو حسن بن محمد الصغاني اللاهوري البدايوني (577هـ/650هـ) وكتب شرحا على أبيات المفصل للزمخشري.

أول من صنّف في الصرف العربي بشبه القارة الهندية هو الشيخ إسحاق بن علي المولود بدلهي المتوفى باجودهن في سنة 690هـ وله منظومة عربية في التصريف.

أول من صنّف متنا للنحو العربي من شبه القارة الهندية فهو الشيخ سراج الدين عثمان الأودي (المتوفى 759هـ) وسماه هداية النحو لا نجد متنا نحويا قبله في شبه القارة.

أول من سافر إلى شبه القارة الهندية من النحاة العرب وصنف في النحو العربي هو إمام النحو العلامة أبوبكر بدر الدين محمد بن محمد الدماميني المصري، المتوفى 828هـ وصنف ثلاثة كتب في النحو العربي أولها: تعليق الفرائد وهو شرح على تحصيل الفرائد لابن مالك وثانيها: المنهل الصافي وهو شرح على "الوافي" لمحمد بن عثمان البلخي، وثالثها: تحفة الغريب وهو أيضاً شرح على مغني اللبيب لابن هشام المتوفى 761هـ⁽¹⁹⁾.

أول من توغل في مجال النحو العربي غاية التوغل فهو الذي كان جلده علماً ولحمه علماً وأعظامه علماً وهو إمام النحو العربي ملك العلماء القاضي شهاب الدين بن شمس بن عمر الدولة آبادي، وقد ذكره المؤرخون بلقب "ابن حاجب" لشبهه القارة الهندية لمهارته وحذاقته وتبحره في النحو العربي وهو صنف متناً متيناً في النحو العربي "وتأنق في ترتيبه غاية التأنق وتعمق في تهذيبه كل التعمق"، وسماه بالإرشاد في النحو وله أيضاً شرحاً على الكافية لابن حاجب المسمى بهندي على الكافية⁽²⁰⁾⁻⁽²¹⁾.

ثم صنف في النحو العربي العلامة سعد الدين الخير آبادي شرحاً على المصباح في النحو للناصر المطرزي الخوارزمي وللسعد أيضاً شرح على الكافية وحاشية على شرح الجامي⁽²²⁾.

ثم سيطر على ميدان النحو العلامة الصفي بن النصير وكتب غاية التحقيق في النحو ودستور المبتدي في الصرف⁽²³⁾.

يأتي ذكر العلامة الله داد (يقال له باللغة العربية عطاء الله الجونفوري المتوفى سنة 932هـ) واحتل بمكانة مرموقة بين علماء النحو العربي وهو تلميذ شهاب الدين الدولة آبادي بواسطة واحدة وله شرح على الكافية وحاشية على شرح "هندي على الكافية" للدولة آبادي المذكور ولأبي الفضل خطيب الكاذروني⁽²⁴⁾، حاشية على شرح القاضي الدولة آبادي للكافية وكذلك للكازروني شرح على "الإرشاد" للقاضي الدولة آبادي⁽²⁵⁾.

وكذلك كتب الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي شرحا على الإرشاد للدولت آبادي كما أنه كتب حاشية على "الفوائد الضيائية" للعارف الجامي وشرحا على أبيات المنهل⁽²⁶⁾-⁽²⁷⁾.

وكما كتب جمال بن نصير حاشية على شرح العارف الجامي وأكملها في سنة 1019هـ، احتل مكانة مرموقة بين علماء النحو و صنف شرحا فريدا وحيدا بأنه قال: إن الكافية لابن حاجب كتاب للتصوف فشرحه شرح الصوفياء والعارفين⁽²⁸⁾-⁽²⁹⁾.

وفي هذا القرن العاشر نجد عالما نحويا صوفيا كبيرا عماد الدين محمد عارف العثماني المعروف بعبد النبي الشطاري (المتوفى في سنة 1020هـ) وهو من أعظم العلماء في عصره، كتب شرحا على الإرشاد للقاضي الدولت آبادي من بحث الحال إلى المجرورات كما كتب حاشية على الفوائد الضيائية للعارف الجامي⁽³⁰⁾-⁽³¹⁾.

ونجد عالما كبيرا صنف حاشية على "الفوائد الضيائية" مع أنه كان مكفوف البصر هو عصمت الله السهارنفوري المتوفى في سنة 1039هـ، والشخصية الفذة لا تظهر في الكون إلا بعد مدة طويلة كذلك ظهرت شخصية العلامة عبدالحكيم السيالكوئي الفذة ظهرت على أرض "سيالكوت" بعد مدة طويلة وهو ملقب بشمس بنجاب وأوزنه الملك "شاه جهان" مرتين بالفضة وفي كل مرة أعطاه الملك الفضة الموزونة وهي ستة آلاف من الروبيات وأعطاه الملك قرى عديدة كالعقار⁽³²⁾، والسيالكوي أكمل حاشية العلامة عبد الغفور على الفوائد الضيائية وهي حاشية تركها العلامة عبد الغفور دون التكميل وتوفى وسمى العلامة السيالكوئي حاشية بعد التكميل "التحفة السليمانية" وكما أنه كتب حاشية على حاشية عبد الغفور على الفوائد الضيائية⁽³³⁾-⁽³⁴⁾ وللسيالكوئي حواشي على مراح الأرواح لأحمد بن علي بن مسعود، ثم كتب من كبار الأولياء الكرام الشيخ العلامة عبد الرشيد الجونفوري شمس الحق بن الشيخ مصطفى جمال الحق خلاصة

وعصارة في النحو العربي وهو شهير باسم تذكرة النحو، وله أيضا بداية النحو وهو متن عربي وكما كتب حاشيةً فارسيةً على الكافية لابن حاجب⁽³⁵⁾.

والعلامة علي أكبر بن علي الإله آبادي عالم كبير من علماء الصرف والنحو وهو أيضا من العلماء المشرفين وصنف متنا "الأصول الأكبرية" في قواعد الصرف العربي وهذا المتن صار مرجعا لطلاب والأساتذة معاً⁽³⁶⁾-⁽³⁷⁾، وهو متداول بين طلاب العربية ومدارسها وهو مختصر ودقيق ولكنه كتاب جامع وهو شرحه بنفسه في اللغة العربية. وله متن في النحو الشهير باسم "الفصول الأكبرية" وهو أيضا كتاب جامع ومتداول بين الطلاب والأساتذة معاً.

ثم يأتي ذكر العلامة عبدالنبي بن القاضي عبدالرسول وهو كتب شرحا بسيطاً بالفارسية على الكافية لابن حاجب وسماه "جامع الغموض ومنبع الفيوض" وهو تلميذ العلامة وجيه الدين الكجراتي بسلاسل ثم صنف العلامة أحمد النكرامي في النحو العربي "نادر البيان" ثم شرحه بنفسه باسم "باهر البيان"⁽³⁸⁾⁽³⁹⁾.

وصنف العلامة عنایت أحمد الكاكوري متنا في الصرف المسمى "علم الصيغة" ولا يعاد له قواعد "الرازي" و"دستور المبتدي" وتصريف الزنجاني وشفافية ابن حاجب. هناك عالم من علماء "فرنكي محل" وهو العلامة عبدالحليم (المتوفى في سنة 1285هـ) وكتب حاشية على "المصباح" في سنة 1285هـ شرح المولوي إلهي بخش شرحا "مائة عامل" بالفارسية باسم "تبيين أبي سعيد خاني" ولكنه شهير باسم "التوضيح الكامل"⁽⁴⁰⁾-⁽⁴¹⁾.

وفي نفس القرن رتب العلامة عبدالحكيم اللكنوي متنين في النحو العربي الأول "زبدة النحو" بالعربية و"جدول النحو" بالفارسية وحاشية على حاشية الكافية⁽⁴²⁾.

وفي أواخر القرن الثالث عشر نجد الحافظ السيد عبدالله الواسطي البلكرامي الذي صنف كتابا نحويا "تشریح النحو" باللغة العربية⁽⁴³⁾، وهو رائد

حوّل النحو العربي إلى اللغة الأردنية ويسّر النحو العربي للعارفين والناطقين باللغة الأردنية وصنف كتابه "قواعد نحو"⁽⁴⁴⁾، وقد منحته الحكومة الإنجليزية جائزة قدرها مائتا روبية في ذلك الزمان لتأليف هذه الصنيعة الأولى باللغة الأردنية وله عين الإفادة في كشف الإضافة بالعربية⁽⁴⁵⁾.

ثم من علماء "رامفور" الكبار العلامة إرشاد حسين المجددي الذي صنف متنا في الصرف العربي الموسوم باسم "إرشاد الصرف" وهو أستاذ كبير تتلمذ عليه جيل من علماء "رامفور" كطلاب الصرف والنحو وغيرهما من العلوم والفنون.

قدّم خدماته العلامة "أحمد جي" وصنف في 1291هـ شرحاً في الصرف على الشافية لابن حاجب وسماه مفتاح الشافية وكذلك الفوائد الحقية وهو شرح على "الرازي" لفخر الدين الرازي وكذلك له مفتاح الصرف وهو مخطوط في الصرف العربي والعلامة عبدالرحمن الأمرتسري صنف كتابين كتاب الصرف وكتاب النحو.

والعلامة عبدالحق الخير آبادي أحد من علماء الكبار الذين قدموا خدماتهم إلى الإسلام طول حياته فصنف في النحو العربي تسهيل الكافية وهو معرب من شرح السيد الشريف الجرجاني من الفارسية⁽⁴⁶⁾، وكذلك صنف "تحفة وزيرية" وله إسم "الرسالة في النحو" أيضاً باللغة العربية⁽⁴⁷⁾.

ومن هؤلاء العلماء الشيخ مشتاق أحمد جرتالوي الذي أدى خدمات جليلة في علم الصرف والنحو ومن مصنفاته العظيمة "علم الصرف"، و"علم النحو" وغيرها ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من كتبه المتعلقة بالصرف والنحو والأدب والإنشاء داخلية في مقررات الدرس النظامية في جميع الوفقات لمدارس الدينية⁽⁴⁸⁾.

ومن هؤلاء العلماء البارزين فضيلة الشيخ العلامة أشرف علي التهانوي - رحمه الله تعالى - الذي كان مفسر زمانه ومحدثه وكان عالم الصرف والنحو، ولد

في تمانه بهون بهند عام 1280 الموافق 1864م وتوفي في 1326هـ الموافق 1943م وكان أستاذاً لفضيلة الشيخ محمد يعقوب الديوبندي وفضيلة الشيخ محمود الحسن -رحمهما الله تعالى-.

ثم يظهر على منصة الشهود عالم فريد فذ المعني الذي كان ماهراً في أكثر من خمسين من العلوم والفنون وهو العلامة الإمام أحمد رضا خان الفاضل البريلوي المتوفى سنة 1340هـ فهو كتب شرحاً على هداية النحو باللغة العربية وله أيضاً "تبليغ الكلام إلى درجة الكمال" في تحقيق إيصال المصدر والأفعال⁽⁴⁹⁾.

وكذلك الشيخ إعزاز علي بن منشي معراج علي ولد في سنة 1300هـ/1882م في قرية أمروحة بالهند وبعد دراسة الكتب الابتدائية من الفارسية والعربية المتداولة في ذلك الزمن توجه إلى "مدرسه ديوبند" والتحق بها وأكمل دراسة فيها ويجدر بنا أن نذكر أنه استفاد كثيراً في هذه المدرسة من محدث عصره الشيخ أنور شاه الكاشميري، وكان الشيخ صاحب تصانيف كثيرة من أهمها حاشية نور الايضاح، حاشية كنز الدقائق، شرح الحماسة والمنتبي والمقامات⁽⁵⁰⁾.

من الكتب القيمة التي صنف في شبه القارة الهندية شرح مراح الأرواح في التصريف للمهدي الحنفي الخوشابي الباكستاني. مراح الأرواح لعلي بن عيسى بن مسعود (ت: 613هـ)، وهو كتاب فذ قد حوى زبدة علم الصرف، ونظراً لأهميته تناوله العديد من العلماء بالشرح والتحليل واستخلاص القواعد الصرفية منه، منهم هذا العالم الباكستاني المهدي الحنفي الذي تعرض بمراح الأرواح وجاء بشرح رقرق بأسلوبه البديع.

ولا يخفى على الباحث بأن شارح المرواح المهدي الحنفي عالم نحرير وماهر بالقواعد العربية ولكن مع الأسف الشديد لا يمكن لنا الاطلاع على سيرته وأحواله. لم يذكره المؤرخون لا سيما الهنديون منهم في كتب الأعلام. ونجد له كتابين غير شرح المراح وهما: فوائد العارفية حل مغلقات الوقاية ورسالة الأكل والشرب. وكتبه غير محققة وغير مطبوعة حتى الآن.

نجد مخطوط شرح المراح للمهدي الحنفي في لاهور، في مكتبة الأستاذ عبدالجبار الشاكر (المتوفى: 2009م)، كان من محبي العلوم الإسلامية والعربية في باكستان. وله صيت ذائع في نشر وتحقيق العلوم الإسلامية، وقد صنف مئات من الكتب البارعة وجمع ألوفاً من الكتب والمخطوطات الإسلامية والعربية في مكتبته المسمي بـ "بيت الحكمة". كتب نذر محمد في عصر سلطان أحمد الشاه الغازي الأفغاني، حصراً في زمن من 1160هـ إلى 1187هـ. عدد صفحاته 174 وحجم الصفحة حوالي: 19x26.5 وهذه نسخة كاملة وقابلة للقراءة.

ووجدنا مخطوطاً آخر لشرح المهدي الحنفي على مراح الأرواح وقد طبعته المكتبة الرشيدية بكويتة، بدون أي تحقيق وتنقيح، هذه النسخة وإن كانت مطبوعة ولكنها في أشد حاجة إلى التحقيق والبحث والتنسيق والتصحيح.

لم يكتب المهدي الحنفي في هذا الشرح على حل المراح والتعليق عليه بل أضاف إليه كثيراً من الفوائد العلمية والإفاضات القيمة، ويمكن لنا القول بأن هذا الكتاب له مكانة علمية مرموقة بنفسه. ذكر في هذا الشرح استنباطاته اللغوية وآراءه الفكرية، فصار هذا الكتاب موسوعة لجامعة لقواعد الصرف ووجوهها وفلسفتها، نجد كلمة "قلت" و"قلنا" مرات كثيرة في هذا الشرح، وهذه الكلمات تشير إلى آراءه واجتهاداته واستنباطاته.

وهو لا يوافق أحمد بن علي بن مسعود صاحب المراح في كل مسألة علمية بل يختلفه ويأخذ عليه في أمور كثيرة ويأتي برأيه ثم يبرهن عليه، على سبيل المثال لما جعل مصنف المراح المصدر "أصلاً للأفعال ومتعلقاتها" أخذ عليه المهدي وقال:

"فاعلم أن الأولى أن يذكر هذا التفريع بعد تمام أدلة البصريين فذكره في البين لغو." (15)

يشرح الكلمات الصعبة لغة واصطلاحاً ويحيي بالكلمات الفارسية لبيان ترجمته، ومازالت اللغة الفارسية لغة غالبية ورسمية في شبه القارة الهندية فلذلك

استخدمها الشارح لحل المغلقات وتوضيح المعضلات. نجد الكلمات الفارسية الكثيرة في هذا الشرح للمهدي الحنفي.

وكثيرا ما يدفع الشارح الإشكالات العلمية الواردة في عبارة المراح، يذكر أولا السؤال ثم يجيب عنه. ولا يزال هذا الأسلوب متعارفا بين علماء النحو والصرف في شبه القارة الهندية، يحتوي هذا الأسلوب على كثير من الفوائد المهمة والمبادئ القيمة، تزيد في فهم الطالب وتنفع فيه روح العلم.

نرى في أول الكتاب قول المؤلف: "غفر الله لوالديه" جاء فيه بكلمة الماضي فأشكل عليه بأنه لوجاء بصيغة الاستقبال لكان أحسن، فأجاب عنه المهدي الحنفي:

"وإنما ذكره بلفظ الماضي مع أنه أريد به الاستقبال للتفاؤل ولأنه يدل على الثبوت والتحقق فكأنه غفر الآن وفيما مضى."⁽²⁵⁾

قد يجد القارئ - في بعض الأحيان- التعارضات والتناقضات العديدة في عبارة المراح وتارة تتناقض الأقوال السابقة بعبارة المرواح، فينفي الشارح العلامة المهدي هذه التعارضات ويطبق بين عبارات الكتاب، فلنرى هذه العبارة على سبيل المثال، حيث يقول الشارح:

"فإن قلت قول المصنف رحمه الله فمن اللغات المتداخلة ينافي قول صاحب المفصل فإنه صرح فيه بأن ركن يركن وأبي يأي يجيئان بطريق الشذوذ في الكلام والتداخل غير الشذوذ. قلنا: لامنافاة بين القولين لأن التداخل والشذوذ يندرجان تحت أمر كلي وهو خلاف الأصل، أما الشذوذ فظاهر لأنه خلاف الأصل وأما التداخل فلأنه لا يقع إلا بغفلة عن المتكلم والغفلة خلاف الأصل."⁽³⁵⁾

ومن دأب الشارح بأنه يبين حركات الكلمات بالتفصيل حين يشعر حاجته وذلك كثير في الشرح.

يستشهد في مدلوله من أشعار العرب، فمثلا قال في بحث الماضي:

"إن كلمة لم قد لا تسقط حرف العلة في بعض اللغة في مثل قول

الشاعر:

هجوت ريان ثم جئت معتذرا
من هجوربان لم تهجر ولم تدع⁽⁴⁵⁾
وكذلك قال في بيان أنواع "سين":
"والخامس سين التأكيد نحو قول الشاعر:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا
وتسكب عيناى الدموع لتجمدا⁽⁵⁵⁾

كذلك يبين معاني الأشعار التي وردت في متن المراح يستشهد به صاحب المراح، استشهد صاحب المراح في بحث الحمزة من هذا البيت:

اليوم أشرب من غير مستحقب
إثما من الله ولا واغل

فبين المهدي الحنفي معنى هذا البيت وقال:

"معنى البيت: اليوم أشرب الشراب حال كوني غير مستحقب أي غير أن يحصل إثما من الله ولا واغل أي لا أشرب الشراب طفيلًا للغير ومقصود الشاعر إني أشرب الشراب من يد المحبوب فلا إثم عليه." ⁽⁵⁶⁾

يستشهد كثيرا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في إثبات ما يرومه. وكذلك من أشعار العرب وأيامهم. قد بين بالتفصيل ما أشار إليه صاحب المراح من قصص العرب، ولما ذكر المصنف المثل العربي "أشغل من ذات النحين" في المتن وما فصله تفصيلا ضروريا فبين المهدي الحنفي قصة هذا المثل وقال:

"وقصته عن أبي عبيدة في المثل أشغل من ذات النحين وهي امرأة اسمها ربيعة من بني تميم بن عدي من ثعلب حضرت في أيام الجاهلية سوق عكاظ وهي قريب من مكة ومعها نحيان من السمن لتبيعهما فذهب بها أبو عبد الله (خوات) بن جبير الأنصاري في جهالة إلى مكان خال ليتباعهما منهما ففتح أحدهما وذاقه

ودفعه إليها فأمسكت بإحدى يديها ثم فتح الأخرى ففعل بها ما فعل بالأولى ثم غلبها وجامعها فوطي بها وهي لا تقدر على دفعه عن نفسها لحفظها فم النحيين وشغلها على سمن فلما قام وفرغ عنها قالت لاهنالك فهرب خوات فضرب بها المثل فيمن شغل ببلاء يصعب دفعه.⁽⁵⁷⁾

هذه القصة من الأخبار الجاهلية، ولما جاء الإسلام أسلم خوات بن جبير فحسن إسلامه، وتوفي بالمدينة سنة أربعين، وعمره أربع وتسعون سنة، وكان يخضب بالحناء، والكتم.

وقد ذكر المهدي الحنفي قصة المثل "أحمق من هبنقة"⁽⁵⁸⁾

وأسلوب الشارح المهدي الحنفي أسلوب علمي خالص، لا يترك أي مسألة حتى يبين كل ما لها وما عليها، يجيب عن كل سؤال يطرح في تلك المسألة. لما قال المصنف في بحث حذف الهمزة: "ولم تحذف الهمزة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي، لقللة الاستعمال بخلاف بسم الله" شرح المهدي الحنفي هذه الجملة بعبارة تالية:

"يعني لم تحذف الهمزة في باسم ربك لقللة الاستعمال لأنه إنما يستعمل إذا قرئ القرآن وكتب فعلم أن حذف الهمزة في بسم الله لكثرة الاستعمال. فإن قيل فما تقول في قوله تعالى إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، بحذف الهمزة مع عدم كثرة الاستعمال أيضا. قلنا حذف الهمزة فيه لموافقة التسمية التي كتبت في المصحف. فإن قيل فلم لا تحذف الهمزة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك لموافقة تسمية المصحف، قلنا إنما يقصد الموافقة إذا كانت التسمية تامة وباسم ربك غير تامة. فإن قلت فما تقول في قوله تعالى بسم الله مجريها ومرسها حذف الهمزة مع أن التسمية غير تامة، قلت حذف الهمزة فيه لكثرة الاستعمال لأن الذين يركبون السفينة يقولون بسم الله مجريها ومرسها في كل بحر ويكتبون في متاع وفيه نوع من التأمل فليعرف!"⁽⁵⁹⁾

لا يخفى على أهل العلم براعة هذا الكلام وروعة هذا الأسلوب العلمي.

وقال المهدي الحنفي في الفرق بين كلمتي عمر وعمرو:

"من قاعدة العرب أنه إذا أمكن الفرق بين المشبهتين بالحرف والأعجام أيضا يفرق بينهما بالحرف ويتركون الإعراب كثيرا حتى أنهم فرقوا بين عمر وعمرو بالواو ولم يكتفوا بالأعجام فرقا بينهما وإن كان الأعجام فارقا أيضا لأنه يترك كثيرا. فأن قيل لم يعكس الأمر قلنا لأن عمروأخف من عمر لانفتاح أوله وسكون أوسطه بخلاف عمر فإنه مضموم العين ومتحرك الميم بالفتح فيكون ثقيلًا والزيادة في الأخف أولى من الثقل تحرزا عن اجتماع الثقيلين ولأن عمرو أخف بالتصرف من عمر لكونه منصرفا بخلاف عمر فإنه غير منصرف ولاشك أن المنصرف أكثر تصرفا من غير المنصرف والزيادة تصرف فيكون عمروأحق بذلك من عمر." (60)

ينبه على مراجع الضمائر التي جاءت في متن مراح الأرواح ويذكر الأسماء الظاهرة لتلك الضمائر، وذلك طبعًا لتسهيل الفهم للقارئ وإبعاده عن اللبس والتعقيد.

لم يكتف الشارح على ذكر القواعد الصرفية واختلاف العلماء فيها ودراستها فقط بل أضاف إلى الكتاب أمرا مهما وهو الوجود والأسباب لتأسيس تلك القواعد، وهذا يمكن لنا أن نسميه بـ "فلسفة الصرف" وهذا الأمر من أهم الميزات التي تمتاز بها الكتب التي صنفت في شبه القارة الهندية، ولا يزال العلماء في هذا المنطقة يدرسون العربية بهذا الأسلوب الدقيق الفلسفي.

اختلاف نسخ المراح من العوامل التي اهتم بها الشارح المهدي الحنفي، فإنه كثيرا يبين الاختلاف بين النسخ. قال في بحث الهمزة:

"اعلم أن النسخ مختلفة في هذا المقام وقع في البعض وجزم آخره في البعض الآخرواسكن آخره والأولى أحق من الثانية لأن الجزم يستعمل في المعربات والسكون يستعمل في المعربات والمبنيات والأمر الغائب معرب بالإجماع." (16)

وقال في شرح تعريف اسم الفاعل:

"وهذا التعريف وقد وقع في كثير من النسخ وقد زيد في قليل من النسخ قيد آخر وهو بمعنى الحدوث ليخرج به الصفة المشبهة."⁽²⁶⁾
وقال في بحث المضاعف:

"ولهذا قد وقع في قليل من النسخ هكذا لأنه إذا جعلت الدلا تاء وفي بعض النسخ وقعت العبارة لأنه إذا جعلت التاء دالا لم يصح لبعده الدال تاء."⁽³⁶⁾

شرح المراح للمهدي الحنفي جدير بالدراسة والبحث، للكشف عن قيمته العلمية، ويرجع هذا إلى الأسباب الكثيرة، منها:

أولاً_ وجود كثير من الآراء الصرفية التي تفرد بها الكتاب وشرحه.

ثانياً_ كثرة المراجع التي عول عليها الشارح في شرحه للكتاب.

ثالثاً_ أن مؤلفه قد عاش في القرنين السادس والسابع من الهجرة النبوية فهو يعد من المتقدمين من علماء العربية نحوًا وصرفًا، وكتبهم تعد المصادر الأصلية، التي ينبغي أن يُعصَّ عليها بالنواجد متى ظُفِرَ بها، ويلزم إبرازها للوجود.
رابعاً_ المؤلف قديم والشارح متأخر عنه فجمع الكتاب بين أصالة القديم وعراقة المعاصرة.

خامساً_ ذكره آراء علماء الأصوات كذكر المهموس والمجهور والصامت والإدغام والإخفاء والإقلاب.

سادساً_ محاولة إظهار ما في الكتاب من قيمة علمية تُخدم كل من يريد الاستفادة من هذا الكتاب، وتُخدم علم الصرف.

سابعاً_ محاولة إخراج نسخة علمية محققة تحقياً علمياً موافقاً لروح العصر الحديث.

الحواشي

1. القدوسي، إعجاز الحق، تاريخ السند بالأردية (لاهور: مركزي اردو بورد)، ص 1/56.
2. تاريخ أدبيات عربية بالأردية (لاهور: الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، 1972م)، ص 2/29.
3. معسكري، محمد بن محمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (مصر: القاهرة، 1938م)، ص 2/126.
4. تاريخ أدبيات عربية، ص 2/29.
5. طريحي، محمد سعيد، بزك بن شهریار، عجائب الهند، ص 118.
6. البلاذري، أحمد يحيى، فتوح البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)، ص 438.
7. تاريخ أدبيات عربية، ص 2/31.
8. الكوفي، علي بن أحمد، حج نامه بالفارسية، ص 75.
9. القدوسي، إعجاز الحق، تاريخ السند، ص 1/65.
10. البلاذري، أحمد يحيى، فتوح البلدان، ص 441.
11. نفس المرجع، ص 449.
12. تاريخ أدبيات عربية، ص 2/32-31.
13. الكوفي، علي بن أحمد، حج نامه بالفارسية، ص 241.
14. تاريخ أدبيات عربية، ص 33.
15. الكوفي، علي بن أحمد، حج نامه بالفارسية، ص 241.
16. تاريخ أدبيات عربية، ص 2/2.
17. نفس المرجع، ص 2/50-49.
18. نفس المرجع، ص 2/52-51.
19. رحمان علي، مولوي، تذكرة علماء الهند (تذكرة علماء هند)، (كراتشي: باكستان هستاريكل سوسائتي، 1961م)، ص 217.
20. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الفكر، 1982م)، ص 1/68.

21. الأسنكدر فوري، وكيل أحمد، أخبار نخاة، ص 127.
22. الحسيني، عبدالحئي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 20.
23. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية باللغة الأردنية، (بريلي: رضا دار الإشاعة)، ص 1/72.
24. الحسيني، عبدالحئي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 20.
25. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 1/68.
26. الحسيني، عبدالحئي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 20.
27. تاريخ أدبيات عربية، ص 2/252.
28. اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، 1954م)، ص 4/77.
29. نفس المرجع، ص 5/171.
30. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية، ص 1/73.
31. الحسيني، عبدالحئي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 20.
32. تاريخ أدبيات عربية، ص 2/275.
33. اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ص 5/216.
34. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية، ص 1/73.
35. اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ص 5/380.
36. زبيد أحمد، الدكتور، حظ باكستان والهند في الآداب العربية، ص 402.
37. الكنكوهي، محمد حنيف: ظفر المحصلين بأحوال المصنفين بالاردية (كراتشي: نشر دار الإشاعة، 1381م)، ص 316.
38. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية، ص 1/73.
39. اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ص 6/24.
40. نفس المرجع، ص 8/65.
41. الحسيني، عبدالحئي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 22.

42. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية، ص 1/74.
43. اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والتواظر، ص 8/285.
44. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية، ص 1/74.
45. الحسني، عبدالحئي، الثقافة الإسلامية في الهند، ص 22.
46. اللكنوي، عبد الحي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والتواظر، ص 8/322.
47. راهي، أختز، تذكرة مصنفين درس نظامي (لاهور: مكتبة رحمانية، 1978م)، ص 121.
48. نفس المرجع، ص 1.
49. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية، ص 75.
50. تاريخ أدبيات مسلماناان باكستان وهند، ص 411.
51. المهدي الحنفي: شرح المراح، كويتية: المكتبة الرشيدية (المخطوط) ص 15-
52. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 3.
53. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 30.
54. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 44.
55. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 79.
56. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 97.
57. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 118.
58. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 118.
59. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 99.
60. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 98.
61. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 99.
62. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 110.
63. المهدي الحنفي: شرح المراح، ص 143.

المصادر والمراجع:

1. الأسنكدر فوري، وكيل أحمد، أخبار نحاة.
2. البريلوي، محمد حنيف خان، الألغاز النحوية باللغة الأردية، (بريلي: رضا دار الإشاعة).

3. البلاذري، أحمد يحيى، فتوح البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م).
4. تاريخ أدبيات عربية بالأردية (لاهور: الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، 1972م).
5. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الفكر، 1982م).
6. الحسيني، عبدالحى، الثقافة الإسلامية في الهند.
7. راهي، اختر، تذكرة مصنفين درس نظامي (لاهور: مكتبة رحمانية، 1978م).
8. رحمان علي، مولوي، تذكرة علماء الهند (تذكره علماء هند)، (كراتشي: باكستان هستاريكل سوسايتي، 1961م).
9. زبيد أحمد، الدكتور، إسهام باكستان والهند في الآداب العربية.
10. طريحي، محمد سعيد، برزك بن شهريار، عجائب الهند.
11. القدوسى، إعجاز الحق، تاريخ السند بالأردية (لاهور: مركزي اردو بورد).
12. الكنكوهي، محمد حنيف: ظفر المحصلين بأحوال المصنفين بالاردية (كراتشي: نشر دار الإاشاعة، 1381م).
13. الكوفي، علي بن أحمد، جحج نامه بالفارسية.
14. اللكنوي، عبد الحى، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، 1954م).
15. معسكري، محمد بن محمد، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار (مصر: قاهره، 1938م).
16. المهدي الحنفي: شرح المراح، كويتية: المكتبة الرشيدية (المخطوط).
17. المهدي الحنفي: شرح المراح، مكتبة عبد الجبار شاكر، لاهور. (المخطوط)